

رمضان شهر التغيير

منى الشعلان



اقرب شهر ليس كسائر الشهور ، اقتربت نفحات الله ونسمات الإيمان ، فما هي إلا أيام قلائل ونستظل ظالماً هذا الشهر الكريم الذي يشتقق له قلب كل مؤمن .

قررت شعائره وزادت بهجتي
رمضان بي شوق إليك كيبر

وهذه فرصة سانحة لكل من أدرك شهر رمضان ويريد أن يغير في حياته أو من سلوكياته الخاطئة كالغيبة والنميمة والتدخين وغيرها ، ونذكره بقانون التغيير المتبدّل في كتاب الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّنُ مَا يَقُولُونَ حَتَّىٰ يُعَيِّنُوا مَا يَأْنَفِسُهُمْ) .

ومن توفيق الله للعبد قبل قدوم رمضان أن يلهمه معايدة سيره إلى الله بتجديد التوبة والاعتياد على نوافل الطاعة من صيام وتلاوة وقيام ،تسهل عليه وتنشط لها نفسه برفق التدرج زمن السبق إلى الله في رمضان ! وكان عمرو بن قيس - رحمه الله - يقول : " طوبى لمن أصلح نفسه قبل رمضان ".

وشهر رمضان شهر المغفرة والرحمة شهر يدرّس الإنسان لعمل الخيرات والطاعات يجعل الله صيامه فريضة وقيامه فضيلة وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن لقوله جل في علاه : (سَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلْأَنْسَابِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) .

فضائل هذا الشهر العظيم كثيرة ويجب اغتنام الفرص فيه والاجتهاد لنيل الطاعة والثواب والتقرب للواحد الوهاب وتطهير النفس من الخطايا والآثام ولفتح صفحة بيضاء مع الله جل جلاله بالتوبة الصادقة قال تعالى : { وَتَوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ } .

ويحرص المسلم في هذا الشهر أن يضع له برنامجاً لاغتنام هذه الأيام المباركة في طاعة الله تعالى كقراءة القرآن والمواظبة على الصلوات الخمس في المسجد وقيام الليل والصدقة وزيارة الأهل والأقارب واداء العمرة لقوله ﷺ : (عُمَرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدُلُ حَجَّةً فَعَيِّ) .

فإن من نعم الله علينا أن يبلغنا هذا الشهر الفضيل وأن المدروم من حُرم من صيامه وقيامه لقوله ﷺ : (رَغْمَ أَنْفُ عَبْدَ دَحَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانَ لَمْ يُخْفِرْ لَهُ) .

والصيام فرصة للدعاء وسبل لإنجذبه لقوله ﷺ : (ثُلُثَ دُعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ: دُعَوةُ الصَّائِمِ، دُعَوةُ الْمُظْلَومِ، دُعَوةُ الْمُسَافِرِ) .

ويجب على المسلم أن يفرح ويحفز بشوق لقدم رمضان هذا الشهر الكريم فعن فضل الله تعالى على عبده أن يدرك نفحاته (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ، مَبْدِلَكَ مَلِيفِرُهُوا هُوَ حَيْرٌ مَمَّا يَجْمَعُونَ) .

لَكَ الْأَرْوَاحُ يَا رَمَضَانُ تَهْمُهُ
وَتَغْتَسِلُ النُّسُوشَ وَتَسْتَقِيُّمُ

لَئِنْ أَقْبَلْتُ هُشْتَانًا إِلَيْنَا
قَمِيلٌ قُلُوبِنَا شَوْقٌ عَظِيمٌ

وينبغي للمسلم أن يستقبل شهر رمضان بسلامة الصدر والتسامح مع الآخرين وكظم الغيط ومقابلة الإساءة بالإحسان قال ﷺ : (وإذا كان يوم ضوم أحدكم فلا يرُفْعُ ، ولا يصَدِّبُ ، فإن سببه أحد ، أو قاله : فليُقلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) .

ومن فضائل هذا الشهر الكريم أن تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتصدق فيه مردة الشياطين وفيه ليلة عظيمة وهي ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن لقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقُدْرِ) .

ومن بركات هذه الليلة أن من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه لقوله ﷺ : (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتَسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبٍ) .

فإذا وفق الإنسان لإدراك هذه الليالي الفضيلة أعنده الله على فعل ما عازم به وضاعف له الأجر والمثوبة وإن وافته المنية كتب له الأجر بالنية .

ورمضان مدرسة إيمانية يتقلب المسلم فيها بين عدة عبادات : صيام وصلاة وقراءة قرآن وصلوات ومتى ما أخلص العبد وأداتها على الوجه الأكمل أثمرت ثمرتها في النفس وتحقق أثرها في الحياة (لعلكم تتفقون).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه "زاد المعاد" (٣٩٨/١) : "من صَحَّ لَهُ رمضان وسَلِيمٌ ، سَلِقَتْ لَهُ سَائِرَ سَيَّتِهِ" .

فهنيئاً لمن وفقه الله تعالى لإدراك هذا الشهر الكريم ومتى بنعيم الصحة ليغنم بمغفرة الله ورضوانه والعتق من نيرانه .

إن العلوك إذا شابت عبيدهم
في رقهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بنا كرماً
قد شبُّت في الرق فاعتقني من النار
فَاللَّهُمَّ بِلَغْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ وَأَعْنَا عَلَى قِيَامِهِ وَصِيَامِهِ وَأَجْعَلْنَا مِنْ عَتَقِئِكَ فِيهِ وَمِنْ الْمَقْبُولِينَ يَارَبُّ الْعَالَمِينَ .

منى الشعلان